وهي حالة الخروج على اطار الصهيونية والاجماع القومي الصهيوني الآخذ بالتصدّع أكثر فأكثر. وما محاولة الأدب العبري نقض الصهيونية، عفوياً، الاّ المظهر العام لهذه الأزمة. فالاديب الذي يحاول تصوير الواقع، ويجتهد في الحفاظ على كل ذلك ضمن صهيونيته، يصل الى التناقض الاساسي: لا يستطيع الكاتب العبري (الصادق) ان يستمر في الايمان بصهيونيته، وذلك لأن الواقع الذي يصفه هو واقع شرقي، محاط بالعرب من كل الجهات؟ وببساطة لا تستطيع ان تعيش في غيتو وتمارس ايديولوجيا تدعو الى الحرب والاستعلاء، كالصهيونية.

هذا التناقض الهامّ سيكون الدور البارز مستقبلاً في رؤية أدب نتاج هذه الفترة، التي أفرزت بعض الاستثناءات الانسانية القليلة. لذلك نرى كثيراً من التناقضات، وقليلاً من النجاحات، في اطار التخلّص من الايديولوجيا الصهيونية التي تعيش أزمة احتضارها، سواء أقبل الكتّاب بذلك أم لم يقبلوا. فسياسة الغيتو آنية، خاصة في وسط شرقي عربي. والصهيونية تدعو الى غيتو مرتّب في أقصى الحالات. واختصاراً لكل الأمر، نقول ان ايديولوجيا، كالصهيونية، تنتج، في أحسن الاحوال، أدباً مأزوماً، أو أدباً خارجاً على الاجماع والصهيونية في الحالات النادرة جداً. ويبدو ان نمط النتاج الادبي العبري مرتبط كثيراً بالصهيونية، التي تسم الأعمال بافرازاتها المختلفة. من هنا تظهر أهمية التناقضات اليهوشعية في اطار الأدب العبري، لتؤكد الخلل الكامن في هذه الايديولوجيا، وفي ممارستها على أرض الواقع. وقد أوصل غروسمان هذا التناقض الى اقصاه في ريبورتاجه الممتاز «الزمن الاصفر»[١٤]. لذا، ظهر واضحاً ان الريبورتاج، في حالة هذه الدولة حديثة العهد، أقوى من الادب وأصدق. فالأدب ما زال يناور الواقع والفكرة الصهيونية؛ وهذا يشكّل عائقاً بالنسبة الى تطوّره، وذلك بوضعه الحواجز أمام الانفتاح والتعرّف على الآخر.

لقد أحسن الناقد شاكيد حين كتب: «حسب رؤية الادب [العبري] العربي هو الغريب، ابن البلاد، الذي تعيش الاقلية اليهودية معه في مواجهة دائمة»[١٥]. هذا التعريف صحيح، ذلك لأن الصهيونية تفرز سياسة الحرب الدائمة والاحتلال. وقد يبدو النقاش الادبي الخالص، في حالة الادب العبري، في غالب الاحيان، من باب الترف. فالادب العبري يعاني من أزمة الحصار التي يعيشها الفرد، جراء الحرب والاحتلال واستفزاز الآخر؛ والانغلاق على الذات الجماعية هو سمة اساسية من سمات هذا الأدب المأزوم، المصنوع تحت سماء الايديولوجيا الصهيونية.

خلاصة

لقد قدّم يهوشع الينا، عبر قصصه ورواياته، صورة من صور الأزمة الصهيونية، وهي التناقض الذي يحمله الواقع للنظرية. وأكثر من ذلك، استطاع ان يقدّم الينا، في رواية «العاشق»، مع كل النمطية، صورة فردانية للعربي نعيم، سواء أوافقنا عليها أم لم نوافق. فالعربي، في الأدب، قائم كفرد له اهتماماته ومشاغله وحياته الخاصة. وهذه ميزة هامّة جداً. ففي أدب ما قبل فترة جيل الشباب (يهوشع وعوز واسحق بن نير)، نجد ظلالاً للعربي، أو مجرد صورة باهتة، وذلك ليحقق الكاتب حلمه بالتعبير عمّا يجيش في نفسه بواسطة الظل، أو الصورة الباهتة. يهوشع نقض ذلك بتقديمه فرداً متكاملاً. عن هذا كتب شاكيد: «من حقّق تشكيل هذه العلاقات على نحو متطرف هو أ.ب. يهوشع في ' ازاء الغابات ' وفي ' العاشق ' . الحارس العربي في ' ازاء الغابات ' هو المطارَد الصادق، بينما يتضح ان معارضه الذي يطارد (حارس الغابة) ليس أقل مطاردة منه، بواسطة مخاوفه وهذيانه، من المطارَد جسدياً، الذي تغلّب على مطارِده بفعل الاحتراق. في الواقع، أكد في هذه المواجهة، حسب